المذهب الأدبي :

أولاَ. المذهب الأدبي لغةً واصطلاحاً

ثانياً: كيف تنشأ المذاهب الأدبية.

أولاً : المذهب لغة واصطلاحاً.

جاء في الموسوعة العربية المجلد 18 صفحة 292 في تعريف المذهب:

المذهب doctrine لغة هو المعتقد والطريقة والأصل، واصطلاحاً هو مجموعة من المفاهيم ومن الأفكار والمواقف والقواعد الموجّهة التي تخص ميداناً بعينه من ميادين المعرفة أو النشاط، وتكون ذات اتساق وتجانس فيما بينها، غالباً ما يعود جميعها إلى عدد محدود جداً من المبادئ الموجهة التي تسري على كل مواقف المذهب وقواعده. وبهذا يدل المذهب على المضمون وعلى المنهج معاً، وهو بخلاف النسق (أو النظام) systemالذي هو تجميع للمعرفة في كلٍ عضوي هو أقرب إلى النظرية theory ، فالمذهب أعم من النظرية. بيد أن التمييز الأساسي هو ما بين المذهب والنظرية، فالنظرية تنطلق كفرض، وتكون قابلة للتحقق تجريبياً، وأكثر من ذلك يمكنتعديلها وتحسينها، أما المذهب فيقوم على رأي أساسي أو مجموعة من الآراء لتوجيه الفهم والسلوك باستقلالية عن التجربة، بل إن المذهب هو الذي يُخضع التجربة، بمعنى ما، لأفكاره، فهو قطعي وثابت وشمولي وهذا كله لا يناسب ميدان العلوم الطبيعية ـ ميدان تطبيق النظريةـ، فغالباً ما يكون المذهب ذا امتداد أبعد من امتداد النظرية التي تخص جانباً معيناً من ميدان ما (كنظرية التطور في علم الحياة).

ثانياً: كيف تنشأ المذاهب الأدبية.

تنشأ المذاهب الفكرية والفنية والأدبية عادةً نتجية لحراك اجتماعي وقد يكون سياسياً تصاحبه تغييرات اقتصادية تنعكس بدورها على مجمل الحياة الثقافية التي يدخلها الصراع بين الأطراف على تثبيت أسس ومعايير وشروط للثقافة أو للأدب. وقد يسود أو يسيطر في النهاية أحد الأطراف وتنتصر معه آراؤه وشروطه وأفكاره. وهكذا في مجمل تاريخ آداب البشرية نجد أن المذاهب تولدت نتيجة لصراع ثقافي يرافقه صراع وسجالات وحوارات في الساحة الأدبية يتمسك كل طرف بقناعاته وآرائه ويقدم الحجج والأدلة التي يستند عليها في سجالاته معززاً بالأمثلة والنماذج التي تؤيد طروحاته. لكن يجب التذكر ان سيادة مذهب ما هو وأنصاره ونماذجه الأدبية لا يعني أبداً موت المذاهب الأخرى وخروجها من التاريخ نهائياً. بل هي قد تتراجع وقد تختفي وتنزوي فترة من الزمن لتعاود الظهور في فترات لاحقة قد تكون أكثر ملائمة لها.

وعادة ما ترافق ولادة المذاهب الجديدة تغييرات ثقافية واجتماعية ترقى ألى مستويات العصور الجديدة وتنبثق معها أنواع أدبية جديدة وشروط نقدية جديدة ورؤى فنية جديدة. بل واحيانا انظمة سياسية ودول جديدة. أي أن المذاهب الأدبية وهي جزء من المذاهب الفكرية والسياسية قد تؤثر في الحياة الإجتماعية والسياسية فتساهم في تغييرات سياسية حاسمة لها تأثير في شكل الدولة. ويكفي أن نعطي مثالين هنا: الكلاسيكية التي أنتجها عصر النهضة أو هي ساهمت في خلقه وبناء تصوراته فانعكس ذلك على القضاء على سلطتين كبيرتين في أوربا وهما سلطة الكنيسة وثقافتها الروحية والماورائية والغيبية وما يرافق ذلك من عبودية المواطن لرجال الكنيسة وأحكامها وقوانينها والسلطة الثانية الحليفة لها وهي سلطة الإقطاع التي استعبدت الفلاحين وتحكمت بمصائرهم وبالتالي بكل مستقبل البلدان الأوربية اقتصادياً. فجاءت حركة النهضة لتحرر الناس من ثقافة وفلسفة الكنيسة وتستبدلها بثقافة علمية واقعية تستند على العقل والوعي وحررت الناس ايضا من سطوة الإقطاع ونادت بحريات الإنسان المخنلفة. وأن من يتابع بدقة آثار عصر النهصة في اوربا يجدها اثاراً جليلة كبيرة تاريحة وحاسمة. فقد تأسست الدول القومية الحديثة المستقلة وتكونت نظريات فلسفية جديدة مستقلة ومتحررة إلى حد ما من سيطرة الفلسفة اليوناينة القديمة اوتكونت نظريات علمية جديدة في مختلف العلوم الطبيعية والإنسانية وتكونت أخيراً مذاهب أدبية فاعلة ومؤثرة غيرت مجرى تاريخ الأدب. لذلك يجب الإعتراف بصحة القول : أن ولادة المذاهب الأدبية يرتبط يولادة الآداب القومية وتطورها في أقطار أوربا الغربية بالدرجة الأولى.

وإذا كنا بحاجة إلى مثال آخر فلنذكر ان المذهب الرومانسي ولد نتيجة أحداث الثورة الفرنسية الكبرى التي أنجبت نابليون بونابرت الذي غزا العالم في اول اندفاعاته العسكرية ثم خسر معاركه الأخيرة والقي عليه القبض وأبعد أسيراً إلى جزيرة سانت هيلانة وبقي فيها إلى ان مات. فاستتبع هذه الحروب خراب حضاري وبنائي كبير وضياع أجيال بين قتلى وجرحى وأسرى ومهاجرين وغير ذلك فانعكس كل ذلك على الحياة الإجتاعية والثقافية والأدبية فولدت الرومانسية التي شكلت ثورة على كل القيود والضوابط واطلقت العنان للخيال وللتعبير عن اعمق خلجات وآلام الإنسان.